سرد

لأنّ الأرض كانت أقرب ممّا يتصوّر

في الطريق إلى برلين

عندما التقيتُهُ للمرّة الأولى، ظهَرَ لي كما لو أنّهُ سَيِّدُ مصيره. أخبرَني أنّه رأى جدَّهُ أمامَ فمِ النّارِ العظيم، يتأمّلُ عمليّةَ اكتشاف الحديد. وفي وقتٍ لاحق، هرَبَ من أرضِه، مُعتَقِداً أنه سيعثُرُ على الجنّة هنا... وأيّة جنّة!

يوسف وقّاص

طرقتْ بابَ سليمة ممسكاً بأنبوبِ معجونِ الأسنان. كانَ الظلامُ دامساً، وبعضُ الأشباحِ تتجوّلُ في الشارعِ عشوائياً، وهي تركُلُ عُلَبَ البيرة وعصيرِ البرتقالِ الفارغة. كانتْ قعقعةُ صنادلِهم على الحجارةِ تُغطّي نعيبَ الغربانِ القادمِ من بعيد. لو أخبرتْ ناديا بذلك، لما صدّقتْني، لكنّ الأشباحَ كانتْ هناك، أمامَ عينَيْ، تمشي بلا هُدى على طولِ الشوارعِ المُحاذيةِ للمباني المُدمّرة. حتّى أن احدهما ذهبَ إلى نافذةِ المطبخِ، واخبرَ سليمة عن وجودي، بعد أن لاحظَ أن الصوتَ العالي للتلفازِ يمنَعُها من سماعِ رنينِ الجرس.

«اللعنة!»، صرخَتْ سليمة عندما رأتْني، «هذهِ الكائناتُ الدُّخانيّة تُخيفُني دائماً حتّى الموت!».

ابتعدَ الشبحُ مُقهقِهاً بمَرَح.

«هالك»، قلتُ، واعطيتُها أنبوبَ معجونِ الأسنانِ بالفلورايد.

«ما هذا؟»، سألتْ سليمة مُحملِقَةً. كانتْ مكتئبةً، وبشرتُها الباهتةُ كانتْ متجعّدةً كَجِرْقةٍ باليَة.

«إنّها هديّةٌ من نيناد بافلوفيتش، لقد قابلتُهُ مصادفةً في طريقي إليك».

أبدتْ سليمة اهتمامها، لكنّها لم تكنْ قادرةً على التعبيرِ عن سعادتِها المُتَوَجِّبة، كما كانتْ تفعلُ في مثلِ هذهِ المُناسَبات. «لماذا لم يأتِ معكَ؟»، سألتْ مع تلميحٍ بالرّفض. كانتْ لا تزالُ تتألّقُ في ذهنِها فكرةُ سِحْرِه.

«في الحقيقة، لقد تمّ إبعادُه».

«ولماذا يعني هذا؟»، سألتْ سليمة فَزِعَةً.

«عادل لا يريدُه معَنا بعدَ الآن، إنّهُ لا يثقُ في تحرُّكاتِه، لأنّه يقومُ بالعابٍ غامضة، فمن ناحيةٍ يساعدُنا في عبورِ الحُدود، ومن ناحيةٍ أخرى، يذبحُنا بهَجَماتٍ غادرة».

«هو مرّةً أخرى؟»، هتفتْ، «لكنْ، لماذا؟».

عندما لاحظتْ أنّني اتهرّبُ من الإجابةِ عن سؤالِها، ابتعدَتْ عنّي، وألقتْ بنفسِها على الأريكة، تناولَتْ وسادةً مُربّعةَ الشّكل، ووضعتْها على صدرِها، ولفّتْ ذراعَيْها حولَها. في تلكَ اللحظة، بدا برتقوفْ صغيرٌ إبريقَ الشّاي بقوّةٍ من المطبخ.

«سليمة»، قلتُ بعدَ لحظة، «إذا علّمتِ ناديا بعلاقتِنا، فسوفَ تحدّثُ أشياءُ من العالمِ الآخر ...».

«ميلاد!»، قاطعتْني سليمة برَخَم: «أقولُها لكَ للمرّةِ الألف: لنْ يحدُثَ أيُّ شيء. ولكنْ، هل تُفكّرُ مثلها حقّاً؟».

«بالطبع لا»، نهضتُ لأُخفي ارتباكي، «سليمة... عليكِ ان تعديني انكِ لنْ تُخبريها، اتّفقنا؟».

ضحكَتْ سليمة بصوتٍ عالٍ، ثمّ مَسَحَتْ دُموعَها، ودَعَتْني لأعانِقَها.

«إبريقُ الشّاي ما زالَ يُصفّر»، لفتُّ انتباهَها بلُطف.

«كَلّا يا أحمق»، أجابتْ بفَتَح، «إنّه قطارُ منتصفِ الليلِ القادمِ من بلغراد».

كانَ أيُّ شخصٍ في مكاني ليَنْخدِعَ بكلامِها، فقد كانتْ على أيّ حالٍ كذبةً بريئةً، ولكنْ، بالنسبةِ إليّ، كانتْ مسألةَ مصيريّة. تحرّكتُ على الفور، ولم يكن بوسعِ أحدٍ أن يوقِفَني، حتّى جسدُها الذي كان يتلوّى مثلَ قطٍّ، ينضحُ برغباتٍ مُتأجّجة. تخطّيتُ الصالونَ بثلاثِ خُطواتٍ، ووصلتُ إلى المطبخِ، غيرِ آبهٍ باحتجاجاتِها. لا أتذكّرُ الآنَ ماذا حدثَ في تلكَ الدقائقِ القليلة، لكنّني أدركتُ حالاً أنّني أمامَ جريمةٍ تقشعرُّ لها الأبدان. كانتْ جُثّةُ كونغاوو ترقُدُ على الأرض، مُحاطةً بأسلافِه، بينَ طبقةٍ كثيفةٍ من البُخار، ذراعُه اليمنى محشورةٌ داخلَ الفرنِ المُشتعِل، والأخرى ملتويةٌ تحتَ ظهرِه، بينما إبريقُ الشاي، مدفوعاً من ضغطِ البُخار، كانَ يحومُ في الهواءِ مثلَ طائرٍ مُحاصَر.

«هيّا، أخرُجْ، لا فائدةَ من البقاءِ هنا»، سمعتْ سليمة تهمسُ من خلفي.

«بربّك، اتّصلي بسيّارةِ الإسعاف!»، صرختُ وأنا أتراجعُ من الخوف.

في أثناءِ ذلك، وصلَ أسلافٌ آخرونَ إلى المكان. كانوا جميعاً بلباسِ المحاربين، ويحملونَ بأيديهم رماحاً وأقواساً وسهاماً، ويُتمتِمُونَ عباراتٍ غامضةً وهم يحدّقونَ بنا بعيونٍ دامية. «كَلّا، يا ميلاد!»، لمستْني سليمة من كَتِفي بأصابعَ مُتجمّدةً، «لا فائدةَ من سيّارةِ الإسعاف، دعهُم

لغريبة اللجوء الأخيرة (Getty)

ظلّت سليمة صامتةً، تراقبُ بعينينِ ذاهلتين رجالَ الشرطة

صورة ظليلة نحيلة، شبهُ شفافة، متوّجة بشعرٍ عسليّ طويل

يأخذونَه، كانتْ أمنيتُهُ الأخيرة أن يُدفنَ في أرضِه».

في هذه الأثناء، وَضَعَ المُحاربونَ جُثّةَ كونغاوو على سريرٍ مَضْفُورٍ من الأغصانِ الغَضّة، وأخذوا يُكمّلونَ طقوسَ الجنازةِ قبلَ نقلِها إلى الغابة. صعدْتُ وسليمة إلى العلّيّة، مروراً بالشُرفةِ الدائريّة ذاتِ الطرازِ الأثري والمُعلّقةِ على جانبِ المبنى، غيرِ مُبالينَ بتلكَ الضيحاتِ الوَحشيّة. بدا الطريقُ من تلكَ النُّقطةِ عمودياً، وكنّا نمشي ورؤوسُنا إلى الأسفل. دخلنا إلى غُرفةِ النّوم على رؤوسِ أصابعِنا. كانَ الطفلُ، الذي وُلد من علاقةٍ سرّيّةٍ مع كونغاوو، يرقُدُ في مهدٍ خشبيٍّ تحتَ النافذة، وستائرُ الساتانِ الأرجوانيِّ اللونِ تخلقُ ظلاماً بارداً، في حينِ أنّ الوهجَ الباهتَ الذي يتسرّبُ من السّقفِ عبرَ فجوةٍ، بسببِ صاروخ، يُعطي الإنطباعَ وكأنّنا نمشي في الفراغ، بينما رائحةُ المِسْكِ تبدو وكأنّها تغرّقُ الغُرفةَ بموجاتٍ مُنتظمة.

كانَ يمكنُ لأيِّ شخصٍ أن يتخيّلَ بسهولةٍ الطريقَ الذي سلكَتْهُ سليمة من الفخامةِ المرّاقةِ ورائحةِ الإبسنة الداخليّةِ المُتناثرةِ في كلِّ مكان. خلالَ كلِّ تلكَ السنواتِ لم تتخلَّ سليمة أبداً عن عاداتِها في ممارسةِ الحُبِّ وهي تفكّرُ في مَزارعِ الكَرَوم والشمسِ التي تَشبَعُ فوقَ سُهولِ إذْلِبَ، المحافظةُ الخضراء، أكثرَ من مرّة، خاصّةً عندما تجدُ صعوبةً في فهمِ كلِّ المِحَن. كانتْ تَضيعُ في الوَهْمِ، وتفعلُ ذلكَ بإيماءاتٍ فاحشةٍ، ولكنّ، بسحرٍ فريدٍ من نوعه.

«هل أنتِ متأكّدةٌ أنّكِ الشّخصُ نفسُه؟»،

سألتُها قبلَ أن أنزلقَ تحتَ الأغطية. كانتْ تقفُ أمامَ المرآة، وهي تتأمّلُ جسدَها العاري: صورةٌ ظليلةٌ نحيلة، شبهُ شفّافة، متوّجةٌ بشَعْرٍ طويلٍ عسليِّ اللون. «أنا لستُ متأكّدةً من أيِّ شيء»، تأوّهتْ قليلاً، «أحتاجُ دائماً إلى لَمْسِ غَرَضٍ ما، لأشعُرَ بحرارةِ الأشخاصِ الذينَ التقيتُهم. باختصار، أعتقدُ أنني بحاجةٍ إلى الكثيرِ من الحَنان».

«لقد كانَ الزنجيُّ المُفضّلَ لديك، وقلتِ دائماً إنّه لا يمكنُكِ العيشُ بدونه!».

«ميلاد، صدّقني، أنا لم أقتلْهُ. هالك، إقرأ ملفّي، لقد قاموا بإجراءِ تحقيقٍ تعشّفيٍّ في قسمِ شُرطةِ دارمشتات!».

ألقتْ نحوي بمجلّدٍ أصفر، من تلكَ التي يمكنُ شراؤُها ببيورو واحد من محلاّتِ السّوبر ماركت.

(مقطع من «في الطريق إلى برلين» التي تصدر هذه الأيام عن «منشورات المتوسط»)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

بطاقة

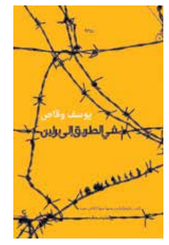

يوسف وقّاص كاتبٌ ومترجم سوري، من مواليد مدينة اعزاز، قرب حلب، عام 1955. يُقيم في إيطاليا منذ عقود. قبل «في الطريق الى برلين» (منشورات المتوسّط، 2021)، التي نقتبس منها هنا مقطعاً، صدرت له روايتان وثلاث مجموعات قصصية. كما ترجم من الإيطالية الى العربية العديد من الاعمال الادبية والفكرية، من بينها «لكنّك ستفعل» (منشورات المتوسّط) لـ جوزيه كاتو تسيلا، و«قطار الاطفال» (دار الساقي) لـ فيولا اردونيه.

إضاءة

أقربُ المَوارد في الفصل بين الطاهر والبذيء

المعجم بوصفه أداة أخلاقية

وضع الاديب اللبناني معجماً اسقط منه ما اعتبره كلمات فاحشة. معجم ظلّ وفياً فيه للدلالات القديمة لكثير من الكلمات على حساب معانيها الجديدة في عصره

نجم الدين خلف الله

صاغ الأديب واللغوي اللبناني سعيد الشرتوني (1849 ـ 1912) مُعجمَهُ: «أقربُ الموارد في فُصَح العَربيّة والشّوارد» في سنة 1889، وقد صدّره بمقدّمة وسبعة مقاصد (أيْ: مباحث لغويّة). ثم أضاف إليه جزءًا ثانيًا ضمّ المصطلحات العلميّة التي ظهرت في عصره، وكذا سائرَ المُفردات المولّدة والأعلام، وختمهما بذيْلٍ أو تكملة، سنة 1893، عاد فيها إلى تصحيح الأخطاء المطبعيّة التي وقع فيها ضمن الجزئيْن السّابقيْن. وكان قد ألّفه، كما ذكر في «التمهيد»، استجابةً لرغبة الآباء اليسوعيين الذين رَأوا، وهم من ذوي التربية المحافظة، أنّ المعاجم العربيّة القديمة حافلة بالكلمات البذيئة وحتّى الفاحشة، فصاغ هذا المعجم بدافعٍ من هذه الحساسيّة الأخلاقيّة، فلم يذكر فيه آيّة كلمة من السجلّ المعجوج، في عمليّة تطهيريّة للمفردات الحاملة للدّلالات «السوقيّة».

وقد رتّب صاحب «حدائق المنثور والمنظوم» معجمَه هذا حسب الطريقة الحديثة، وهي ردّ الكلمات إلى جذورها الثلاثيّة، ثم تفريع المشتقّات الاسميّة والفعليّة. كما أنه أضاف إلى عمل الأسلاف، الذين اتكّا على مصادرهم، تقديمَ سيَر الأعلام والمشاهير، ولكنْ بإيجازٍ شديد، كما توقّف لدى أسماء النّبات والحيوان والأماكن والمعادن، من دون أن يذكر، كما وعد بذلك في مقدّمة الكتاب، مقابلاتها من اللغات الأجنبيّة.

هذا وتعكس المقاصد السبعة ـ التي مهّد بها الشرتوني لكتابه ـ المشاغلَ اللّغوية التي كانت تعتمل في ذهنه وقتَها، مثل قضايا التوليد والدارجة والمُعرّب والأصيل ومعايير الصحّة اللغوية ومقاييس الإعراب والفصاحة، فضلاً عن القواعد التي اتّبعها في وضع قاموسه والانتقاء من بين عبارات الأقدمين الصيَغ الأسهل والأنْقى، علاوةً على ذكر الدّواعي التي خصّته على تكبّد مشاق هذا التأليف. ومن المشروع أن نتساءل عن الطور التاريخيّ الذي تنتمي إليه عربية هذا المعجم ومعاني كلماتها؟ إذ الظاهرُ من إنجاز هذا العمل أنّه هدف إلى جمع كلّ معاني الضاد الفصيحة والإحاطة بها، إلّا أنّ هذا العُنوان خدّاع. فالمعاني الموسومة في «أقرب الموارد» لم تعدْ كلّها شائعةً ولا حتّى مستخدمة، كما أنّ المعاني الجديدة، التي طرأت في عصر النهضة العربيّة، لم تُسجّل بإزاء المُفردات القديمة. ومثال هذه النّزعة المحافظة، كلمة «قانون»، التي صارت تدلّ، منذ القرن السادس عشر، على القاعدة القيمية وعلى المجلّات القانونيّة الوضعيّة التي تحكم من خلالها الدّولة وسلطاتُها التّشريعيّة المواطنين، حيث يُعرّفها، جريًا على تعريف أسلافه من اللغويين العرب القدامى، بكونه: «أصل الشيء ومقياسه العام».

وهذا بعضٌ من المنهج الذي التزم به الشّرتوني، الذي حافظ على عبارات الأقدمين في التعريف، حتى في الكلمات التي اكتست دلالات جديدة، ولكن مع شيءٍ من التيسير والبَسط وترك الصيغ المعقّدة التي كان يخطُّها القدماء، فضلاً عن إسقاط الكثير من الشواهد، ولا سيما الدينيّة، لأنه كان يتوجّه إلى جميع فئات القراء، على اختلاف طوائفهم وأعمارهم ومستوياتهم.

وهكذا، فقد لعب هذا القاموس وظيفةً تبسيطيّة للتعاريف الجافّة الوعرة التي كانت تحفل بها المعاجم الكلاسيكيّة، وهو مقصد الشرتوني الذي عبّر عنه بالقول: «مساعدةُ المطالعين على كسب الوقت والمرور سريعًا إلى المعنى المنشود»، ممّا يَشي بظهور نزعة تربويّة تُرقّي فئات الشباب وتساعدهم على تحقيق التقدّم الذهني والرقي الروحيّ المنشودَيْن.

ويدفعُنا هذا الأثر إلى تساؤل السُنيّ أشمل، وهو: ما الذي يجعل لفظةً ما تتحوّل من منطقة المحايد إلى المبتذل والسّوقي وحتّى الفاحش؟ هل ثمة عوامل ومقاييس موضوعيّة يمكن رصدها، من أجل قياس درجة مقبوليّة المفردات أو رفضها بذريعة انتمائها إلى سجلّ الممجوج والبذيء؟ ثم هل يمكن أن نلحق الشتائم الأخلاقية والطائفيّة، وحتى المهنيّة التي برزت حديثًا، بهذا السجلّ ونقرّر، على ضوء ذلك، حذفها من متون المعاجم؟

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

حذفُه بعض الكلمات يخفي قسماً من منظومة القيَم في مجتمعه

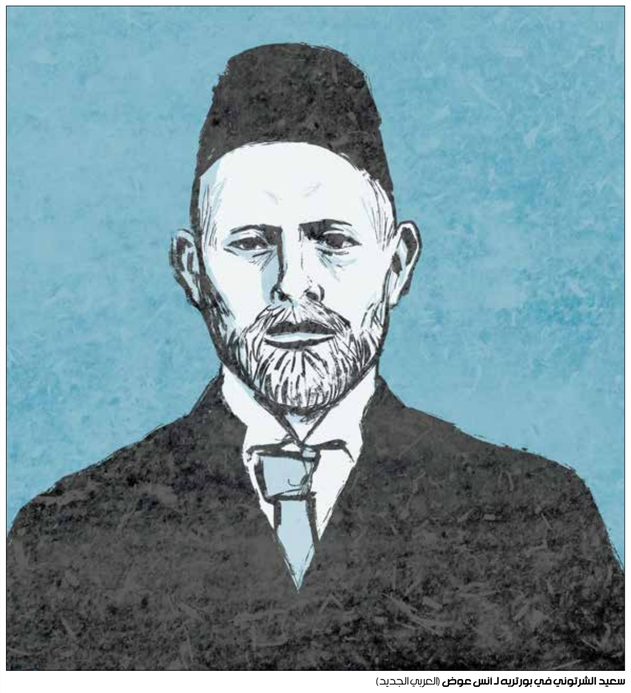

سعيد الشرتوني في بورتريه لـ أنس عوض (العربي الجديد)

قصائد

كما لو أنّني أوّلُ الوحيدين... كما لو أنّني آخرُهم

لا تُلوّحوا لي بأيديكم من الشاطئ

يحيى عاشور

نصف العالم

وحينَ أدركتُ أنّي أمام مرآةٍ بكيتُ
كأنّي نِصفه الآخر ملتفتٌ إليّ:
وكأنّ نِصفه الآخر ملتفتٌ إليّ:

غزّة في الحصار

مرّةً نظنُّ
أنّنا في مركبٍ
والعالم كلّه مَن حولنا سمك

وفي مرّةٍ أخرى نرى
أنّنا لسنا سوى غابةٍ
والعالم كله
من حولنا قناصة.

عندما يسقطُ صاروخٌ

عندما يسقطُ صاروخٌ قرب بيتي
أتمنى رغم عجلته غير المبررة
لو يلاحظ
أنّني منكمشٌ منذ زمن
في قبرِ حفره الخوف
لا في سرير
عندما يسقطُ الصاروخ
أقولُ أخيراً سأموت
لكنّه الموتُ لغرابةِ حظّي
لا يعجبه الموتى الجاهزون.

دعوهم

دعوهم يلعبون كرةَ القدم
دون أن تكون الصواريخُ صافرةَ النهاية
لا نهايةَ الحياة
ولا حتى فقط نهايةَ المباراة!

فيزياء الحلم

إيمانٌ عذبٌ يُخبرني
أنّ أحلامي التي ولدت قرب النافذة
ستفتح لي يوماً
كلّ الأبواب!

أعمال على الطريق

I

لا تُلوّحوا لي بأيديكم من الشاطئ
كي أكل البطيخ
أنا موج
عند الشاطئ أنتهي.

II

أمرُّ بالناس
في أقصى عجل
فأنا دائماً على موعدٍ
مع خاطري
أمسحُ دموعي بيدي لا بمنديل
دموعي ليستْ غريبة.

III

كلما اعتقدتُ أنّي لن أتمكن أبداً
من التحرر
من هذا السجن
جاء سجّانٌ أضخم
ووضعني في سجنٍ جديد
أضيقْ!

IV

لستُ مجرد كابوسٍ متأخر
يغرقُ في كوبِ ماء

لستُ من أشرار هذا العالم
أنا أجملُ قُصاصة
أو في أسوأ الأحوال، أرحمُ مقص

لستُ إلّا حارساً طيباً
لذكرياتٍ متوحشة.

(شاعر فلسطيني من غزة)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من سلسلة «جدران غزة» لـ ليلى الشوا

فعاليات

تقيم فرقة **تجلّي صوفي** عند التاسعة والنصف من مساء بعد غدٍ الاربعاء على خشبة مسرح «مترو المدينة» في بيروت حفلا تقدم خلاله مزيجا من الموسيقى الشرقية والهندية والاندلسية، من بين الاغاني التي تؤديها الفرقة **والله ما طلعت شمس ولا غربت**، و**يا ربي إن عظمت ذنوبي**، و**من لحاظك كم بدا لي**.

الحداثات التونسية عنوان الندوة التي ينظّمها «المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون/ بيت الحكمة»، في تونس العاصمة صباح بعد غد. يشارك في الندوة **عبد الحميد هنية** بورقة «التفكير في الحداثة ونشأة تونس في القرنين السابع عشر والتاسع عشر»، و**كلثوم مزيو بورقة** «نسوية الدولة و تجربة المرأة»، و**محمود بن رمضان** «المسيرة نحو الحداثة منذ الاستقلال: جراة العمل».

حتى الخامس والعشرين من أيلول/ سبتمبر المقبل، يتواصل معرض **انا العارف بالليك** الذي افتتح في «غاليري لا تشيتا» بمدينة فيرونا الإيطالية بداية الشهر الماضي بمشاركة خمسة عشر فناناً، منهم: **عادل عابديت**، و**شيرين ابو شقرا**، و**صادق كويش الفراجي**، و**عبد القادري** (الصورة)، و**جان بوغوصيان**، و**سيمون فتّال**.

تقدّم **الفرقة القومية العربية للموسيقى** عند الثامنة من مساء الاحد المقبل على خشبة المسرح الكبير في «دار الاوبرا» بالقاهرة حفلا يتضمّن عدداً من الاغاني الطربية لـ **محمد عبد الوهاب** و**محمد الموجي**. الفرقة التي تاسّست عام 1989، تهدف الى جمع التراث الموسيقي العربي واعادة تقديمه.